المراوحة

فرضت قضية انهيار الحكومة الائتلافية الحاكمة في اسرائيل طرح السؤال حول مستقبل عملية السلام في الشرق الاوسط، والقت بظلال وشكوك كبيرة على العنوان الذي اختارته الادارة الاميركية لمرحلة ما بعد نقاط وزير خارجيتها، جيمس بيكر، وهو الحوار الفلسطيني ـ الاسرائيلي.

الاجابة عن السؤال تستدعي استنطاق المتغيّرات التي شهدها الشهر الماضي؛ وهو استنطاق فرضته الكوامن المستقبلية لهذه المتغيّرات التي ستملأ، لاحقاً، كل فراغات الصورة، وتشكّل، بالتالي، مرحلة من المدّ والجزر في سياق التحدي والتراجع المدروس. امّا الثابت، فهو ان التفاوض على السلام لم يعد على الابواب، بل انه تباعد، اكثر فأكثر، خلال الاسابيع القليلة الماضية.

في هذا السياق، اجمع المراقبون المتتبعون لتطورات الوضع في المنطقة على القول، ان ثمة «اصبعاً» اميركياً كان وراء فرط عقد الائتلاف الاسرائيلي؛ واشار هؤلاء، بشكل خاص، الى ان الحوار الذي أجراه وزير الخارجية الاميركية مع رئيس الحكومة الاسرائيلية، اسحق شامير، والذي قال فيه ان «المهلة انتهت»، وانه يريد رداً على خطته ذات النقاط الخمس، كان بمثابة «صاعق» التفجير؛ امّا البارود، فكان في موضع آخر (جيروزاليم بوست، ٨/٣/١٩٩٠).

في بادىء الامر، تحدثت اوساط مراقبة عن «الخيارات الصعبة» التي فضّل بيكر تسميتها ب «المشاكل الشائكة» التي باتت تواجه المسؤولين الاسرائيليين، ولخصتّها في ثلاثة: اولها، قيام ازمة حكومية نتيجة عدم توصّل الوزارة، بجناحيها، الى الاتفاق على رد مشترك ايجابي على المقترحات الاميركية؛ وثانيها، انهيار الحكومة الائتلافية مع احتمال كبير ان يشكّل حزب العمل الحكومة المقبلة، وبالتالي القبول بالمقترحات؛ وآخرها، قبول شامير، متجاوزاً شروط الليكود، المقترحات الاميركية كما هي، وبالتالي البدء في المحادثات الفلسطينية ـ الاسرائيلية (الحياة، لندن، ٨/٣/١٩٩٠).

ولا ريب في ان تجسيد الخيار الثاني، اسرائيلياً، أجري على مراحل متعاقبة، وانْ كانت متسارعة. ففي كلمة له القاها في مؤتمر رؤساء المنظمات اليهودية الاميركية، قال شامير، ان «التأخر في عملية السلام سببه الوحيد المحاولات المستمرة لتحويل الجهود عن مسارها الاصلي، من اجل اقحام منظمة التحرير الفلسطينية في العملية، في شكل او في آخر». واشار الى ان اسرائيل تتعرض لضغوط اميركية لقبول دور لفلسطينيين من القدس الشرقية، ومن المبعدين من الارض المحتلة، والى ان محادثات السلام المقترحة «يمكن ان تؤدي باسرائيل الى الاتصال بمنظمة التحرير الفلسطينية، على الرغم من وعد الحكومة بعدم التفاوض معها... ولن نكون طرفاً في اي محاولة يمكن ان تدخل المنظمة الى عملية السلام من الباب الخلفي» (النهار، بيروت، ١/٣/١٩٩٠).

ولمزيد من التوضيح، فقد استهدف شامير التعامل مع المبادرة الاميركية من ثلاثة منطلقات رئيسة: اولاً، عدم رفضها بـ «لا» قاطعة، وانما استبدال الرفض باقتراح بدائل لتلك المبادرة؛ ثانياً، تعجيز المبادرة الاميركية، خطوة خطوة، ابتداءً بقضية ادخال المنظمة الى عملية السلام «من الباب الخلفي»، من دون الكشف عن مواقفه نحو الخطوة التالية الواردة في المبادرة؛ ثالثاً، توسيع حلقة الشكوك بخطة بيكر داخل الاوساط الاميركية، لا سيما في الاوساط اليهودية والكونغرس، كي يكوّن لنفسه قاعدة انتخابية في الخارج تدعم مواقفه داخل اسرائيل (انترناشونال هيرالد تريبيون، ٥/٣/١٩٩٠).

اختبار العزيمة

في البدء، تعمّدت وزارة الخارجية الاميركية